

أصل المذاهب الإسلامية في الإقراء والاعتقاد والفتوى والسلوك - 2

بقلم: أ. مراد بن علي وُعمارة

وجعل عليه أعلاماً يهتدى بهم كالجنيد بن محمد في طرائق السلوك وكالإمام أحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري في سلامة الاعتقاد حيث سلك هذا مسالك المعتزلة ثمَّ مسالك الكلابية ثمَّ رجع في آخر حياته إلى ما كان عليه أحمد بن حنبل كما صرَّح به في كتابه الإبانة وكتابه مقالات الإسلاميين ورسالته إلى أهل الثغر.

ونشرح ذلك ها هنا حول هذه المحاور الأربعة في تلقي الدين والفقه فيه والعمل به: (القراءة والحديث والفتوى والسلوك):

أمَّا في قراءة القرآن:

فقد أخذ الناس في أمصارهم الخمسة الأولى التي منها خرج العلم عن الصحابة؛ وهي الحجازان المدينة ومكة والعراقان الكوفة والبصرة والشام.

انتهينا في الحلقة الأولى من هذا المقال إلى أنَّ من رحمة الله بالأُمَّة المحمَّدية أن وسَّع عليهم في الاختلاف، وضبطه بعدد مخصوص حتَّى لا يتسع الخرق وتشتت الأُمَّة فيما لا يتناهى من المذاهب ففتيه في بيداء الفوضى الخلَّاقة من الآراء والمذاهب.

فجمعهم في الفتوى على هذه المذاهب الأربعة المضبوطة وفيها كفاية وشفاء ورحمة.

كما جمعهم في قراءة القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف.

وجمعهم في السَّنة على الأصول السبعة.

وجمعهم في السلوك والاعتقاد على ما أجمع عليه الصحابة وأئمَّة التابعين وأتباعهم بعدهم على منهاج واضح،

أبي طالب فاشتهر بالقراءة عنه أبو الأسود الدؤلي وعنه حمران بن أعين، واشتهر أيضا عبد الرحمن بن أبي ليلى وعنه ابنه وعنه أخوه محمد، واشتهر أيضا زر بن حبيش وعنه يحيى بن وثاب وعنه سليمان الأعمش وعن هؤلاء جميعا حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة، ودارت بعده على أشهر الرواة عنه وهما خلف وخلاد.

5 - وقرأ على حمزة أيضا علي بن حمزة الكسائي أحد القراء السبعة ودارت بعده على أشهر الرواة عنه وهما حفص الدوري وأبو الحارث البغدادي.

6 - وأخذ أهل البصرة عن أبي موسى الأشعري: فدارت القراءة بعده على حطان القرشي ثم دارت على الحسن البصري ثم دارت على أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة ودارت بعده على أشهر الرواة عنه وهما حفص الدوري والسوسي.

7 - وأخذ أهل الشام عن معاذ وأبي الدرداء والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان ثم دارت بعده على عبد الله بن

1 - فأخذ أهل المدينة عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما: ودارت القراءة على أبي، ثم دارت بعده على أبي هريرة وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، ثم دارت بعدهما على الأعرج ثم دارت على نافع أحد القراء السبعة ودارت بعده على أشهر الرواة عنه وهما ورش وقالون.

2 - وأخذ أهل مكة عن عبد الله بن السائب وهو قرأ على أبي بن كعب وعمر بن الخطاب: فدارت القراءة بعده على مجاهد بن جبر ثم دارت على عبد الله بن كثير المكي أحد القراء السبعة ودارت بعده على أشهر الرواة عنه وهما الليثي وقنبل.

3 - وأخذ أهل الكوفة عن عبد الله بن مسعود: فدارت القراءة بعده على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وسعد بن إياس الشيباني، ثم دارت بعدهم على عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة ودارت بعده على أشهر الرواة عنه وهما حفص وشعبة.

4 - وقرأ أهل الكوفة أيضا على علي بن

وأما رواية الحديث:

فقد روى الصحابة جميع ما يعلمون من سنة رسول الله ﷺ ولم يكتموا حديثاً حتى ولو كان نديهم النبي وأرشدتهم إلى ترك التحديث بالحديث خشية الاتكال، كما حصل لمعاذ بن جبل في سياق موته حين حدث أصحابه بحديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ، وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صَدَقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا⁽¹⁾ أي حتى لا يَأْثِمَ بالكتمان، إذ هو شرٌّ من ترك التحديث رغبة في أن ينشط الناس للعمل.

وكذلك التابعون من بعدهم كانوا يتحرّجون أن يكتموا حديثاً سمعوه من الصحابة، ويحرصون على التبليغ بكلِّ ما سمعوا.

عامر الشامي أحد القراء السبعة ودارت بعده على أشهر الرواة عنه وهما هشام بن عمار وابن ذكوان.

وهكذا نرى أنَّ القراءات السبع المشهورة التي اجتمع عليها المسلمون هي قراءات أئمة القراءة من الصحابة المذكورين في الأسانيد؛ عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت.

وهناك قراءات أخرى أشهرها بعد هذه السبع القراءات الثلاث المكملّة للعشرة المتواترة، وقد انحصرت القراءة في الأمصار اليوم على أشهر الروايات وهي رواية حفص عن عاصم وبها يُقرأ في أكثر أمصار المشرق، وروايتا ورش وقالون عن نافع وبهما يُقرأ في معظم شمال إفريقيا وصحرائها ورواية الدوري عن أبي عمرو بن العلاء وبها يُقرأ في اليمن والسودان؛ مع احتفاظ القراء بالتداول على القراءات العشر، والأربعة الملحق بها إلى الآن، وهي لا تخرج عن رسم مُصحف عثمان بن عفّان ولو احتمالاً، وعن حرف زيد بن ثابت الذي به كانت العرضة الأخيرة للنبي ﷺ على جبريل ﷺ.

ولأهل البصرة:

3 - قتادة بن دعامة السدوسي...

4 - ويحيى بن أبي كثير...

ولأهل الكوفة:

5 - أبو إسحاق عمرو بن عبد الله

السبيعي..

6 - وسليمان بن مهران الأعمش...

ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب
الأصناف (أي المدونين للحديث على
أبواب الفقه أو على أسماء شيوخهم)
ممن صنف.

فلأهل المدينة:

1 - مالك بن أنس

2 - ومحمد بن إسحاق بن يسار.

ومن أهل مكة:

3 - عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج

4 - وسفيان بن عيينة.

ومن أهل البصرة:

5 - سعيد بن أبي عروبة

قال حماد بن زيد عن أيوب قال:

سمعت القاسم - وهو ابن محمد بن أبي
بكر الصديق - سئل، قال: «إننا والله ما
نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما
كتمناكم، ولا حل لنا أن نكتمكم»⁽²⁾.

وكان أكثر الصحابة تحديثاً عن النبي

ﷺ العشرة المكثرين (أبا هريرة، وعليّ
بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود،
وأنس بن مالك، وعائشة وجابر بن عبد
الله، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن
عمرو، وأبا سعيد الخدري، وعبد الله
بن عباس)، فعلى هؤلاء دارت معظم
الأحاديث، ثم تلقّاها عنهم أصحابهم من
التابعين، وقد لخص ذلك الإمام الخبير
بالعلل والأسانيد علي بن المديني فقال في
كتابه في العلل⁽³⁾: «نظرت فإذا الإسناد
يدور على ستة:

فلأهل المدينة:

1 - ابن شهاب وهو محمد بن مسلم

بن عبد الله بن شهاب الزهري...

ولأهل مكة:

2 - عمرو بن دينار الجمحي...

أقول: ثمّ انتهى حديث هؤلاء إلى أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة ويحيى بن معين وابن المديني وأضرابهم، ثمّ انتهى إلى الآخذين عنهم كالبخاري وأبي داود والدارمي ثمّ إلى من جاء بعدهم كمسلم والترمذي وابن ماجة ثمّ النسائي؛ وهؤلاء هم أصحاب الأصول الستّة مع مسند أحمد التي عليها مدار السنة.

وأما في السلوك والتأدّب:

فقد ورث الصحابة عن رسول الله ﷺ العلم الذي كان يبيته والهدي الذي كان يسلكه جميعاً، وكان التابعون من السلف يتوارثون الهدي عن الصحابة كما يتوارثون عنهم العلم.

قال محمد بن سيرين: «كانوا يتعلّمون الهدي كما يتعلّمون العلم»⁽⁴⁾.

وكان من أوفر الصحابة حظاً من الهدي بعد الخلفاء الراشدين عبد الله بن مسعود بالعراق، وعبد الله بن عمر بالحجاز، ومعاذ بن جبل بالشام؛ وهي الأمصار التي خرج منها العلم والهدي

6- وحمّاد بن سلمة

7- وأبو عوانة الوضاح مولى يزيد بن عطاء الواسطي

8- وشعبة بن الحجّاج

9- ومعمربن راشد.

ومن أهل الكوفة:

10- سفيان بن سعيد الثوري.

ومن أهل الشام:

11- عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

ومن أهل واسط:

12- هشيم بن بشير أبو معاوية.

ثمّ انتهى علم هؤلاء الثلاثة من أهل البصرة وعلم الاثني عشر إلى ستّة، إلى:

1- يحيى بن سعيد القطان.

2- ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة.

3- ووكيع بن الجراح.

4- وعبد الله بن المبارك الحنظلي.

5- وعبد الرحمن بن مهدي.

6- ويحيى بن آدم.

الموروث عن الصحابة المتفرِّقين فيها كما سبق.

فتوارث أهل الكوفة من أهل العراق الهدي عن ابن مسعود كما توارثوا عنه العلم، كسويد بن غفلة، ومسروق بن الأجدع، وعلقمة بن قيس، والربيع بن خثيم، والأسود بن يزيد، وأبي وائل شقيق بن سلمة، وزر بن حُبَيْش، وربيع بن جَرَّاش وعمر بن ميمون الأودي وغيرهم، فكانوا يتشبهون بشيخهم عبد الله بن مسعود في هديه وسلوكه ودلّه، فهم خريجو تربيته وتأديبه كما أنّهم خريجو علمه وفقهه، ثمّ أصحابهم الذين أخذوا عنهم هذا الميراث فتفقّهُوا من علمهم وتأدّبوا بهديهم وسلوكهم؛ كإبراهيم بن يزيد النخعي وعامر الشعبي وسعيد بن جبيرة وإبراهيم التيمي، ثمّ الذين أخذوا عن هؤلاء كزبيد الياحي، وطلحة بن مُصَرِّف، ومنصور بن المعتمر، وأبي حيان التيمي، وعمر بن قيس الملائي، ثمّ الذين أخذوا عن هؤلاء كسفيان الثوري، وشعبة ثمّ وكيع بن الجراح، ثمّ هناد بن السري.

وكذلك أخذ أهل البصرة عن نزل بها من أصحاب رسول الله ﷺ كعمران بن حصين، وأبي بكرة الثقفي، والأسود بن سريع، وأنس بن مالك، وعبد الله بن مغفّل.

وكان بالبصرة من تأدّب وتفقّه بعمر، وعلي، وأبي ذر، وابن مسعود وغيرهم، كالأنحف بن قيس وأبي عثمان النهدي وعامر بن عبد قيس.

وعن أمثالهم أخذ أهل البصرة وغيرهم، كأبي العالية الرياحي، وصلة بن أشيم، وهرم بن حيان، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، والحسن بن يسار البصري، ومحمّد بن سيرين، ومسلم يسار، ومالك بن دينار. ثمّ الذين أخذوا عن هؤلاء من بعدهم كأبيوب السخيتاني، وعبد الله بن عون، وسليمان بن طرخان، ويونس بن عبيد، ومحمد بن واسع، ثمّ حمّاد بن سلمة وحمّاد بن زيد، ثمّ عبد الرحمن بن مهدي.

وكذا عبد الله بن المبارك الذي أتى من مدينة الري فتأدّب بإبراهيم التيمي، وحمّاد بن سلمة بالبصرة، وبسفيان

الصنابحي، ويزيد بن الأسود، وكذا وهب بن منبّه من أهل اليمن، ثم أخذ عنهم أمثال رجاء بن حيوة، وخالد بن معدان، وبلال بن سعد، وحسان بن عطية، ثم تأدّب هؤلاء أمثال أبي عمرو الأوزاعي، وأبي إسحاق الفزاري، وبأمثالهما تأدّب أبو سليمان الداراني.

وكذلك أهل مصر والمغرب وهما امتداد لأهل الشام وأهل المدينة؛ فكان بمصر الليث بن سعد الذي تأدّب وتفقه بالتابعين من أهل المدينة ومكة والشام، وأخذ عن حيوة بن شريح من أهل مصر، وكان بمصر أيضا عبد الله بن وهب الذي تأدّب بمالك بن أنس وبالليث بن سعد.

وكذلك كان المهلول بن راشد القيرواني أخذ عن مالك والثوري، وكان يقتدي بهما في آدابه وسمته وزهده وورعه وعنه أخذ أهل القيروان وغيرها بتونس، فبه وبابن وهب تأدّب سحنون واقتدى بهما، ثم به وبأمثاله كان ابن عاصم بالساحل التونسي ثم اقتدى به تلميذه أبو إسحاق الجبيني، وكان ابن أبي زيد القيرواني وأبو الحسن القاسبي واللبيدي يقتدون بالجبيني.

الثوري بالكوفة، وبمالك بالمدينة، وبهؤلاء أيضا وغيرهم تأدّب الإمام أحمد بن حنبل.

وتوارث أهل الحجاز عن ابن عمر الهدي كما توارثوا عنه العلم، كسعيد بن المسيّب، وزيد بن أسلم، وسالم بن عبد الله بن عمرو القاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثم ورث عن هؤلاء خلق من أهل المدينة وغيرهم، كالزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن المنكدر، وعمر بن عبد العزيز، وصفوان بن سليم، وعن هؤلاء وغيرهم ورث مالك العلم والأدب جميعا، وبه تأدّب خلق من أهل الأمصار كابن وهب من أهل مصر، ويحيى التميمي من أهل خراسان، والشافعي من أهل مكة، وابن مهدي من أهل البصرة، وابن المبارك من أهل الري.

وكذلك توارث أهل الشام وغيرهم عن معاذ بن جبل الهدي كما توارثوا عنه العلم، كأبي مسلم الخولاني، وأبي إدريس الخولاني، ومالك بن يخامر، وعمرو بن الأسود السكسكي، وأبي عبد الله

وبه كان يتشبه أصحابه مثل مسروق
وعلقمة وغيرهما.

قال إبراهيم النخعي قال علقمة: كان
عبد الله يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودلّه
وسمته. قال إبراهيم: وكان علقمة يشبه
بعبد الله⁽⁹⁾.

وقال إبراهيم النخعي: «كنّا نأتي
مسروقاً فنتعلّم من هديه ودلّه»⁽¹⁰⁾.

وقال حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي:
لم يكن أحد من الصحابة أشبه هديا
وسمتا ودلاً من ابن مسعود بالنبي ﷺ ،
وكان أشبه الناس به علقمة، وكان أشبه
الناس بعلقمة إبراهيم، وكان أشبههم
بإبراهيم منصور بن المعتمر، وأشبه
الناس به سفيان الثوري، وأشبه الناس
به وكيع، وأشبه الناس بوكيع فيما قاله
محمد بن يونس الجمال: أحمد بن
حنبل⁽¹¹⁾.

وقال الحسن بن الربيع: ما شهِت
أحمد بن حنبل إلاّ بابن المبارك في سمته
وهيئته⁽¹²⁾.

وإليك توثيق هذا بالأخبار والروايات:

قال أبو عبيد في الغريب: حدّثنا أبو
معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن
أصحاب عبد الله بن عمر أنّ أصحاب
عبد الله بن مسعود كانوا يرحلون إليه،
يعني إلى ابن عمر فينظرون إلى سمته
وهديه ودلّه، قال: فيتشبهون به⁽⁵⁾.

وقال ابن وهب: حدّثني مالك أنّ ابن
سيرين كان قد ثقل، وتخلّف عن الحجّ
فكان يأمر من يحجّ أن ينظر إلى هدي
القاسم ولبوسه وناحيته، فيبلغونه ذلك
فيقتدي بالقاسم⁽⁶⁾.

وكذلك كان أصحاب ابن مسعود في
العراق، وقد قال النبي ﷺ: «وَتَمَسَّكُوا
بِعَبْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ»⁽⁷⁾. يعني ابن مسعود.
وفي رواية: «وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ
فَصَدِّقُوهُ».

وقال حذيفة بن اليمان: «إنّ أشبه
الناس دلاً وسمّاً وهدياً برسول الله ﷺ ،
لابن أمّ عبد، من حين يخرج من بيته إلى
أن يرجع إليه، لا ندري ما يصنع في أهله
إذا خلا»⁽⁸⁾.

سنة وهو يقرأ المسند على أولاده ما كتبت منه حرفاً واحداً وإنما كنت أكتب آدابه وأخلاقه وأتحفظها⁽¹⁷⁾.

وذكر الحسين بن إسماعيل عن أبيه قال: «كان يجتمع في مجلس أحمد بن حنبل زهاء خمسة آلاف أوزيدون، نحو خمسمائة يكتبون والباقيون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت»⁽¹⁸⁾.

وقال ابن بطة: قال لي أبو بكر بن أيوب: سمعت يعقوب يقول كنت أختلف إلى أحمد ثلاث عشرة سنة لا أكتب عنه وهو يقرأ المسند إنما كنت أنظر إلى هديه أتأدب به⁽¹⁹⁾.

وكذلك أهل مكة واليمن وغيرهم، كعبيد بن عمير الذي تأدب بابن عمرو وأبي بن كعب وابن عباس، وكطاوس من أهل اليمن، ومجاهد وعطاء وغيرهم ممن تعلم وتأدب بابن عباس وغيره، ثم خلفهم أمثال وهيب بن الورد وفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة والشافعي.

وحكى أبو فهر المصري قال: كان أبو بكر بن إسحاق إذا ذكر عقل أبي علي

وكذلك كان يقول ابن مهدي عن أحمد إنه أشبه الناس بالثوري، ويقول: «من أراد أن ينظر إلى ما بين كتفي الثوري، فلينظر إلى هذا»⁽¹³⁾. مع أنه لم يلقهما.

وقال معاذ بن معاذ: كانوا يرون أن عبادة سليمان التيمي من أبي عثمان النهدي⁽¹⁴⁾.

وكذلك كان المعافى بن عمران يتأدب بأدب الثوري وتفقه به، وبالمعافى تأدب بشر بن الحارث.

وقال بشر بن الحارث: «إني لأذكر المعافى اليوم فأنتفع بذكره وأذكر رؤيته فأنتفع»⁽¹⁵⁾.

وقال يعقوب بن يوسف بن المطوعي: «اختلفت إلى أحمد بن حنبل رحمه الله اثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده فما كتبت عنه حديثاً واحداً، وإنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه»⁽¹⁶⁾.

وذكر عبيد الله بن بطة عن أبي بكر النجاد قال: سمعت أبا بكر يعقوب بن يوسف المطوعي يقول: جلست إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثلاث عشرة

وقال جعفر بن سليمان: «كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غدوت فنظرت إلى وجه محمّد بن واسع مرّة، وكنت إذا نظرت إلى وجه محمّد بن واسع نظرت إلى وجهه كأنّه ثكلى»⁽²³⁾.

وقال مالك: «كلّما أجد في قلبي قسوة أتى محمّد بن المنكدر فأتعظ أيّاماً بنفسي»⁽²⁴⁾.

وقال ابن المبارك: «إذا نظرت إلى الفضيل جدّد لي الحزن، فأنظرُ إليه نظرة فأتعظ بنفسي أيّاماً»⁽²⁵⁾.

وقال رياح بن خالد: قال ابن المبارك: «إذا نظرت إلى الفضيل جدّد لي الحزن ومقّت نفسي» ثمّ بكى⁽²⁶⁾.

فكان السلف يطلبون العلم مع الأدب والهدي ثمّ تقسّطت الأمانة العلوم والأعمال، وصار من يُطلب منه الأدب غير من يُطلب منه العلم، فصار لعلوم الشريعة فقهاء ومحدّثون وقُراء ومفسّرون، ولآداب الطريقة شيوخ سالكون ومؤدّبون. وكان من أجمع الشيوخ لطرائق السلف المذكورين الإمام

الثّقفي يقول: ذلك عقل مأخوذ من الصحابة والتابعين، وذلك أنّ أبا علي أقام بسمرقند منذ أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محمّد بن نصر المروزي، وأخذها ابن نصر عن يحيى بن يحيى، فلم يكن بخراسان أعقل منه، وأخذها يحيى عن مالك، أقام عليه لأخذها سنة بعد أنفرغ من سماعه. فقليل له في ذلك، فقال: إنّما أقمت مستفيداً لشمائله فإنّها شمائل الصحابة والتابعين⁽²⁰⁾.

قال عبد الله بن وهب: «ما تعلّمت من أدب مالك أفضل من علمه»⁽²¹⁾.

وذكر عباس العنبري عليّ بن المديني فقال: «كان الناس يكتبون قيامه وقعوده ولباسه وكلّ شيء يقول ويفعل»⁽²²⁾.

وهو نفسه -ابن المديني- كان يقتدي في ذلك بأحمد بن حنبل ويحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي؛ وكان بعد هؤلاء أبو زرعة الرازي والبخاري وأبوداود والدارمي يقتدون بأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه.

قال لنا: «خذوا في أبراز الجنّة، فحدّثنا بالحكايات»⁽²⁸⁾.

قال أبو حنيفة: «الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه، لأنّها آداب القوم وأخلاقهم»⁽²⁹⁾.

قال ابن المبارك: «طلبنا العلم فأصبنا منه شيئاً، فطلبنا الأدب فإذا أهله قد ماتوا»⁽³⁰⁾. فكان رحمه الله يطلب ذلك في أخبار من مضى.

قال شقيق بن إبراهيم: قيل لابن المبارك: إذا صلّيت معنا لم تجلس معنا؟ قال: «أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين».

قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: «أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس»⁽³¹⁾.

فمن عدم المؤدّبين الأحياء فعليه بالنظر في أخبارهم وأحوالهم في الكتب، ككتاب الزهد للإمام أحمد وحلية الأولياء لأبي نعيم وسير الصالحين لأبي القاسم التيمي وصفة الصفوة لابن الجوزي،

الجنيد بن محمّد القواريري، وسلك بعده الشيوخ طريقته كالشيخ أبي إسماعيل الهروي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ عدي بن مسافر، والشيخ أبي الحسن الشاذلي، والشيخ عماد الدين الواسطي وغيرهم.

وكلّهم بنى على طريقته التي هي مجمع طريقة السلف من الصحابة المقتدى بهم.

ثمّ على رأس المائة الثالثة انقطع الاجتهاد وضبطت المذاهب إلّا لما نزل من النوازل وفرّعه المتأخّرون وخرّجوه على أصول المذاهب، كما انقطع الإسناد في القراءة والحديث إلّا للبركة، ولم يبق من يُقتدى به في العلم والهدى إلّا في آحاد من الأعيان وجود بهم الدهر مرّة في كلّ قرن على تباعد الأزمان، أو يطلب ذلك في حكايات وأخبار من مضى.

قال مالك بن دينار: «الحكايات تحفُّ الجنّة»⁽²⁷⁾.

وقال سليمان بن حرب: كنا عند حماد بن زيد يحدثنا بأحاديث كثيرة، ثمّ

ومن زعم اليوم أنه يريد أن يردّها إلى مذهب السلف، فإنما يردّها إلى فهم نفسه ومذهب رأيه، متخطّياً إجماع قرون من سلوك علماء الأُمَّة في جميع أجناسهم لمذاهب السلف المنقولة بالتواتر المسلوك العملي والتواتر المنقول العلمي.

فإنّما حظُّ المتأخّر أن يستفيد من المتقدّم ويبني عليه، وأن يُخرّج على أصولهم فيما استجاد ونزل، لا أن يهدم ما بناه الأوّل ويعيد النظر بنظره الكليل فيما تم النظر فيه بنظر خير جيل، لا مذهب بعد مذاهب الأئمة الموروثة، ولا قراءة بعد السبعة أو العشرة المشهورة، ولا طريقة بعد طريقة الجنيّد المسلوكة، ولا صحيح بعد الصحيحين والأصول المعتمدة.. فعلى هذا المعوّل، مع الاستفادة مما جاد به المتأخّر واستكمل به ما ترك الأوّل.

ولا يزال الخير في هذه الأُمَّة قائماً دائماً مستقراً، إلى قيام الساعة أبداً مستمراً. والحمد لله أولاً وآخراً. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد سيد ولد

ومهما سمع وقرأ فليس الخبر كالمعاينة. ثمّ حصل في الطريقة من الابتداع والجفاء ما حصل في سائر العلوم من الحشو والانحراف... والإصلاح يتطلّب تصفية الطريقة وردّها إلى هدي الشيوخ الأوائل، كما يتطلبه في إصلاح الفقه من فتاوى الدّخلاء على الفقهاء، وتصفية مرويات الحديث من الأباطيل والمناكير والموضوعات وهكذا سائر فنون العلم.

ومن الظلم والجفاء والتقصير أن يرد قسم من الدين، هو منه بمنزلة الروح من الجسد، وهو قسم السلوك والتزكية المسوّى في عُرف المتأخرين بالتصوف، بدعوى انحراف شيوخه وفساد طرائقه. فإنّ الفساد قد عمّ حتّى طرائق المتأخرين من المتكلمين والمتفقيّين والمحدّثين فهل يُبطل باب الاعتقاد والفقه والحديث لأجل ذلك؟

والحاصل أنّ مذاهب المسلمين في طرق قراءاتهم وأصول حديثهم ومدارس إفتائهم وطرائق تأديبهم هي عين مذاهب الصحابة المأخوذة عن رسول الله ﷺ وفيها كفاية وغناء، وهداية وشفاء.

في بيان مشكل الآثار (1224 - 1233) وابن حبان (6902) والحاكم (4451، 4452، 4453، 4455) وابن شاهين في السنة (147) والخلأل في السنّة (335) والعقيلي في الضعفاء (3/ 399) وأبو الشيخ في الأقران (434) وأبو القاسم التيمي في دلائل النبوة (141) والحاكم (4500، 4501، 4504، 4505،) والبيهقي في السنن الكبرى (8/ 153) وفي المدخل (61) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (2307، 2308) والخطيب في تاريخ بغداد (2498) وهبة الله ابن الطبري في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة (2498، 2499، 2500) والبعوي في شرح السنّة (3895) وابن حزم في الإحكام (6/ 81) والحصكفي في مسند أبي حنيفة (13) والبلاذري في أنساب الأشراف (362) و(10/ 295) وابن عساكر في معجمه (1085) وفي تاريخه (30/ 227) و(33/ 114 - 118) و(43/ 394 - 396) وعبد الخلق بن أسد الحنفي في معجمه (458). وإسناده صحيح. وروي أيضا من حديث ابن مسعود.

(8) رواه البخاري (6097).

(9) رواه ابن أبي شيبة (32906) وابن سعد (3/ 154/ 86) والطحاوي في بيان مشكل الآثار (3/ 263) ويعقوب بن سفيان في المعرفة (2/ 545) والحاكم (5482) بإسناد صحيح.

(10) رواه ابن عبد البر (820).

(11) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (11/ 316).

(12) ذكره المزي في تهذيب الكمال (1/ 451).

(13) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (11/ 190).

عدنان وعلى آل وصحبه أعلام الأمة في العلم والإيمان والإحسان.

الهوامش:

- (1) رواه البخاري (128) ومسلم (53).
- (2) رواه الدارمي (113) والفسوي في المعرفة (1/ 302) وأبو نعيم في حلية الأولياء (2/ 184) والخطيب في الفقيه والمتفقه (1112) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (1567) وابن عساكر في تاريخ دمشق (49/ 175) وإسناده صحيح.
- (3) العلل لابن المديني (ص: 39) وما بعدها. تحقيق وتخريج حسام محمّد بوقريص ومراجعة بدر عبد الله البدر، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى سنة 1423 - 2002.
- (4) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الروي وآداب السامع (9).
- (5) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (2/ 101).
- (6) رواه ابن عساكر (49/ 172).
- (7) رواه الترمذي (3799) والحميدي (454) والإمام أحمد في المسند (23386) وابن أبي شيبة (38205) وعبد الله بن أحمد في السنّة (1366، 1367، 1369) وفي فضائل الصحابة (198) وابن سعد في الطبقات (2/ 334) والفسوي في المعرفة (2/ 309) والطبراني في الأوسط (5503، 5840) والطحاوي

- (14) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (4/177).
- (15) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (9/82).
- (16) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص: 288) تحقيق التركي.
- (17) ذكره الحافظ أبو موسى المديني في خصائص المسند (ص: 18).
- (18) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص: 288) تحقيق التركي.
- (19) ذكره الحافظ أبو موسى المديني في خصائص المسند (ص: 18).
- (20) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (117/1) وذكر نحوه هذا الحاكم عن شيخه أبي بكر بن إسحاق كما في السير للذهبي (15/281).
- (21) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (817).
- (22) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (13/426).
- (23) رواه ابن الأعرابي في معجمه (1572) وأبو نعيم في الحلية (2/347) وابن عساكر (56/150).
- (24) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (117/1).
- (25) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (8/438).
- (26) ذكره أبو الوليد الباجي في التعديل والتجريح (1230).
- (27) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (1397).
- (28) رواه الخطيب في الجامع (1398).
- (29) رواه ابن عبد البر (819).
- (30) رواه أبو عثمان الدارمي في النقض على بشر المريسي (2/655).
- (31) رواه أبو نعيم في الحلية (8/164).